

أضواء البيان

. @ 95 @ .

قالوا لأنه لو لم يكن راضياً به ، لصرفنا عنه ، فتكذيبه لهم في الآيات المذكورة فنصب على دعواهم أنه راض به ، وإلا فلا يكذب هذه الدعوى في الآيات المذكورة وفي قوله { وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ } . . .
فالكفار زعموا أن الإرادة الكونية القدرية ، تستلزم الرضى وهو زعم باطل ، وهو الذي كذبهم في هذه الآيات المذكورة . . .

وقد أشار تعالى إلى هذه الآيات المذكورة ، حيث قال في آية الزخرف : { أَمْ عَٰتِیْذُنَا هُمْ ۚ كِتَابًا ۚ مِّنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ } أي آتيناهم كتاباً يدل على أنا رضوان منهم بذلك الكفر ، ثم أضرب عن هذا إضراب إبطال مبيناً أن مستندهم في تلك الدعوى الكاذبة هو تقليد آبائهم التقليد الأعمى ، وذلك في قوله { بَلْ قَالُوا ۚ إِنَّا وَجَدُوا نَزَّٰلاً مِنَّا وَجَدْنَاهُ آيَاتٍ نَّزَّلَ عَلَيْنَا ۖ أُمِّمَّةً ۖ } أي شريعة وملة وهي الكفر وعبادة الأوثان { وَإِنَّا نَزَّٰلَاهُ عِلَادَةً اثَّارِهِمْ مِّمُّهُمْ تَتَدُونُ } . . .
فقوله عنهم مهتدون هو مصب التكذيب ، لأن الله إنما يرضى بالاهتداء لا بالضلال . . .
فالاهتداء المزعوم أساسه تقليد الآباء الأعمى ، وسيأتي إيضاح رده عليهم قريباً إن شاء الله . . .

وقال تعالى في آية النحل بعد ذكره دعواهم المذكورة : { وَلَقَدْ دَٰعَوْا بِعَصَا نَا فِي كُلِّ ۖ أُمِّمَّةٍ رَّسُولًا ۚ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ ۚ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۚ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَىٰ اللَّهُ ۚ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّقَتْ ۖ عَلَيْنَهُ الضَّلَالَةُ ۚ } . . .
فأوضح في هذه الآية الكريمة أنه لم يكن راضياً بكفرهم ، وأنه بعث في كل أمة رسولاً ، وأمرهم على لسانه أن يعبدوا الله وحده ، ويجتنبوا الطاغوت أي يتباعدوا عن عبادة كل معبود سواه . . .

وأن الله هدى بعضهم إلى عبادته وحده ، وأن بعضهم حقت عليه الضلالة أي ثبت عليه الكفر والشقاء . . .

وقال تعالى في آية الأنعام { قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ۖ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ } . . .